المجلة التاريخية الجزائرية
ISSN: 2572-0023 / EISSN: 2716-9065
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/664
المجلد:10، العدد:01 (2026)، ص231-239

جدلية العلاقات الجزائرية العثمانية بين التبعية والتحالف

The controversy surrounding Algerian-Ottoman relations between dependency and alliance

✍حميدي أبوبكر الصديق
جامعة المسيلة (الجزائر)
boubakeurseddik.hamidi@univ-msila.dz

معلومات المقال

تاريخ الارسال:
2026/04/28
تاريخ القبول:
2026/05/25

الكلمات المفتاحية:
- ✓ الجزائر
- ✓ الدولة العثمانية
- ✓ التبعية
- ✓ الخلافة

الملخص:

كثيرا ما طرحت قضية علاقة الجزائر مع الدولة العثمانية وانتابها شيء من الغموض والتناقض أحيانا وخاصة في ظل الخصوصية التي عرفتها الجزائر بين الاستئثار بالحكم من طرف الأتراك من جهة وتوظيف القوى المحلية في السيطرة على الوضع وكذلك الاستقلال بالقرار السياسي والدبلوماسي والعملة والعلم وعقد الاتفاقيات. هذه المؤشرات كلها تطرح نفسها في علاج جدلية مسار العلاقات الجزائرية العثمانية بين التبعية والتحالف وهو ما يجعلنا نعالج الموضوع في بعده التاريخي بين الخصوصية التي عاشتها الجزائر والولاء العابر للحدود في ظل الخلافة والمصالح المشتركة

Article info

Received:
28/04/2026
Accepted:
25/05/2026

Key words:
- ✓ Algeria
- ✓ The Ottoman Empire
- ✓ Khilafat
- ✓ Dependency

Abstract:

The issue of Algeria's relationship with the Ottoman Empire has been frequently raised, often shrouded in ambiguity and contradiction, particularly given Algeria's unique circumstances. These included Ottoman rule, the utilization of local forces to maintain control, and Algeria's independence in political and diplomatic decision-making, currency, flag, and the signing of agreements. All these factors contribute to the complex interplay between the trajectory of Algerian-Ottoman relations, oscillating between dependency and alliance. This necessitates a historical examination of the subject, exploring the unique characteristics of Algeria, the transnational loyalties within the Caliphate, and shared interests.

مقدمة

تباينت الكتابات التاريخية التي تدور حول العلاقات الجزائرية العثمانية من توصيف هذه العلاقة بالاحتلال أو التبعية أو التعاون والتحالف وما ينجر عنه حول قضية التبعية والاستقلال عن الدولة المركزية، ويبدو أن الكثير من الدراسات تحتاج إلى تحديد منطلقات أساسية للخوض في هذا الموضوع، طبيعة القدوم العثماني، الظروف السياسية المحيطة، مسار تطور العلاقة مع الدولة العثمانية، وظيفية الدولة الجزائرية بين تجسيد التبعية أو تشكيل كيان له خصوصياته.

وبين التبعية والتحالف يتم النظر في الشرعية الدينية والسياسية للعثمانيين، فالرأي القائل بالشرعية يساند إلى طبيعة الدخول والبعد الديني والحاجة إلى الحماية من الخطر الخارجي، وهو ما أكسب الأتراك القادمين صفة الجهاد والدفاع عن دار الإسلام والاقتدار والقوة وعزز ذلك القبول العام من المجتمع الذي رحب بهم وحررهم من الإسبان وعبر عن هذا التوجه وجهاء المجتمع أمثال ابن القاضي الذي قال لعروج وأخيه: "**إن بلادنا بقيت لك ولأخيك أو للذئب**"، وكذلك في الرسالة التي بعث بها أعيان مدينة الجزائر إلى السلطان سليم الأول سنة 1517م يظهرون فيها ولاءهم ورغبتهم في الطاعة والانضمام: "**نحن لزمام أموركم وطاعتكم مستبشرون وعليكم لا محالة اعتمادنا، فقد أطعنا أمركم**". ونفس الموقف لأعيان قسنطينة في رسالة لسليمان القانوني حول طاعة صالح رايس.

وبالتالي فالراية الإسلامية في نظر الجزائريين في هذه المرحلة تمثلها القوة العثمانية ومن ثم وجب الانضواء تحتها لحماية البلاد والعباد وهي التقاليد السياسية التي سار عليها العرف الإسلامي قبلها حيث كانت الكيانات العرقية والثقافية والجغرافية ضعيفة أمام الرابطة الإسلامية وخاصة في مثل هذه الظروف.

وإن كان أصحاب هذا التوجه يجعلون من الحكم العثماني فرصة لتوحيد البلاد سياسيا وحققت استقرارها حتى وإن احتكروا السلطة وأن الإجحاف والظلم هو تصرف سلطة الذي قد يمارسه حاكم وطني.

وهناك أصحاب الرؤية المعاكسة الذي يجعل منه حكما استبداديا استعماريا وفي غالبهم متأثر بالكتابات الأوربية وبالمنهج الأوربي وبإسقاط الواقع الحالي على معطيات الماضي وأحيانا تخفي هذه الكتابات ميولا سياسية واستعمارية لتبرر للاحتلال الفرنسي فيما بعد ونافيا أي كيان للجزائر في ظل الحكم العثماني، وقد أخذ بعض المشارقة بهذا المنهج.

ويتجلى أن الطرح المتوازن هو أن الدولة الجزائرية لها خصوصيتها وحكومة لها سياستها ظهرت بعامل التحدي في غرب المتوسط وفرضتها الظروف الداخلية والخارجية، وساهمت في حماية أقطار المغرب العربي. وتمثل نموذجا للدولة المستقلة في ظل الشرعية العثمانية، والوحدة من خلال التنوع، والخصوصية في إطار التكامل.

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

ضمن هذه الأفكار والجدليات المطروحة نتوجه بالنقاش لمعالجة هذا الموضوع الهام **هل كانت التبعية؟ أم التحالف؟ أم الخصوصية؟** ونعتقد أن منحى هذه القضية يجد طريقه من خلال توجه الباحثين المعاصرين بتكييف النقاش والكتابة وفق الظروف السياسية والدينية لتلك المرحلة، وليس بذهنية الحاضر.

1. الحكم العثماني بين النقد والتمجيد

1.1. الرؤية اتجاه العثمانيين بالجزائر

إن تسليط الضوء على أهمية العلاقات التاريخية والحضارية بين الجزائريين والأتراك في العصر الحديث يساعدنا على الفهم الإيجابي للتاريخ الذي من خلاله يمكن اليوم تأسيس علاقات تعاون متينة في مختلف الميادين والنظر للمستقبل بإيجابية على غرار الماضي الذي تجسدت فيه ملامح الانسجام والتوافق والتعاون والنصرة وتبادل الأدوار في حوض البحر البيض المتوسط، وإجمالا يمكن تسجيل السمات التي ميزت المرحلة العثمانية بالجزائر.

ـ أن العلاقة القائمة بين الجزائريين والأتراك كانت منطلقاتها قائمة على الاستنجاد وليس الغزو أو التدخل العسكري على غرار بعض الدول الأخرى.

ـ الوحدة العقدية السنية المالكية والحنفية . التي شكلت نموذجا للتعايش بين المجتمعين دون سعي طرف لاحتواء الآخر أو إلغائه.

ـ مبدأ الثقة والولاء جعل الأتراك يهتمون بالبحر والوقوف في وجه الأوربيين دون التركيز على الداخل.

ـ ظاهرة الاندماج الاجتماعي من خلال الزواج مع الجزائريات وميلاد عنصر وسيط دعم من روابط العلاقة الدموية ـ الكراغلة ـ

ـ التكامل والنصرة في مواجهة الهجمات الأوربية، فالأسطول الجزائري ظل يؤدي مهمة كبيرة بطريقة مباشرة أو غير مباشرة في التكفل بالغرب المتوسطي في مواجهة الخصوم الأوروبيين. وهو عبئ كبير حملته الجزائر عن الدولة العثمانية والتهديدات القائمة.

ـ رغم بعض الخلافات وبقاء العنصر التركي متميزا واستئثاره بالحكم والتقصير في بعض الجوانب العلمية لكن التوافق بين المجتمعين ظل قائما. **فهل هذا يعود إلى شعور كل طرف بالحاجة للآخر؟ أم أن هذه النقائص كانت تهون أمام التحدي القائم؟ وكيف تم استثمار العوامل السابقة الذكر في تذليل العقبات التي كانت موجودة؟ وكم كان عامل الولاء للخلافة حاضرا في هذا التوافق؟**

إن هذه التجربة التاريخية التي دامت أكثر من ثلاث قرون لجديرة بالدراسة على ضوء العناصر السابقة والعمل على استثمارها في الوقت الراهن وتوظيفها في التقارب والتعاون بين البلدين في المجال السياسي والاقتصادي والثقافي وخاصة أن كل العوامل التاريخية والنفسية تخدم هذا الاتجاه.

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

2.1. اختلاف الرؤية بين الأتراك والعرب

تباينت الرؤية بين العرب والأتراك في تقييم الدولة العثمانية وخاصة في أواخر العهد العثماني ونعتقد أن مرد ذلك يعود إلى عدة عوامل:

– التراكمات الطويلة لإخفاقات الدولة العثمانية مع تزايد التغول الأجنبي ونظرة الأطراف والولايات بتقصير الدولة وانتشار الكراهية المتنامية.

– المساعي الحثيثة التي قدمها الانجليز والغرب عامة بواسطة العملاء أمثال لورانس وغيره في الوقيعة بين العرب والترك.

– التوجه الجديد للاتحاديين في محاربة العربية والإسلام وسياسة التتريك والتي كانت في عمومها موجهة ضد الارتباط بالعرب وإن كان تأثيرها ضعيف على الجزائر.

التشجيع الأوربي والأمريكي المتنامي للنصارى المتواجدين بالشرق العربي على الكراهية للدولة العثمانية من خلال أن العثمانيين مستبدين وظلمة وجهلة، مستغلين المراكز الثقافية والمدارس والمناهج لبث الكراهية واستغلال الخلافات السياسية والحدودية لفك الروابط التاريخية والحضارية بين العرب والأتراك. وإن تركز هذا الأمر في المشرق العربي ولكن المؤرخين الفرنسيين حاولوا تعميم النظرة والحكم على الجزائر.

. الدعاية التي مارسها الإنجليز والفرنسيين عقب ثورة الشريف حسين أثناء مجريات الحرب العالمية الأولى وتوجيه الدعاية الخاطئة للصدام بين أنصار العروبة والتتريك والطورانية وما انجر عنها من صراع فكري.

3.1. علاقة الدولة العثمانية بالجزائر

كان التشابه كبيرا بين مجلس الديوان بالجزائر والديوان الهمايوني بالدولة العثمانية، وبالتالي فهو يحاكي أو يماهي المؤسسة المركزية في الحكم. ولكنه يعين أو ينتخب باشا أو دايا ولا ينصبه كخليفة. وربما أن عامل البعد والتبعية الاسمية ولا توجد ضرائب مباشرة من الرعية نحو السلطنة المركزية ماعدا الدنوش الرمزي المعروف جعل العلاقة القائمة بين الآستانة والجزائر تتسم بالحميمية عامة وحفظا للتعاون في زمن الأزمات الحربية التي كانت محل تعاون الجيشين العثماني والجزائري) (نايت بلقاسم ،2012، ص 80).

2. الكتابات التاريخية والحكم العثماني بالجزائر

أما في الجزائر فكانت الكتابات التاريخية التي تدور حول العثمانيين تتراوح بين الشرعية الدينية والسياسية وفريق آخر يجعل من الدولة العثمانية نظام احتلال واستبداد. وفي ذات السياق تطرح قضية التبعية والاستقلال عن الدولة المركزية.

فالرأي القائل بالشرعية يستند إلى طبيعة الدخول والبعد الديني والحاجة إلى الحماية من الخطر الخارجي، وهو ما أكسب الأتراك القادمين صفة الجهاد والدفاع عن دار الإسلام والاقتدار والقوة وعزز ذلك القبول العام من المجتمع الذي رحب بهم وحررهم من الإسبان وعبر عن هذا التوجه وجهاء المجتمع أمثال ابن القاضي الذي قال لعروج وأخيه: "**إن بلادنا بقيت لك ولأخيك أو للذئب** "، وكذلك في الرسالة التي بعث بها أعيان مدينة الجزائر

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

إلى السلطان سليم الأول سنة 1517م يظهرون فيها ولاءهم ورغبتهم في الطاعة والانضمام: "**نحن لزمام أموركم وطاعتكم مستبشرون وعليكم لا محالة اعتمادنا، فقد أطعنا أمركم**" (سعيدوني، 2000، ص 180). ونفس الموقف لأعيان قسنطينة في رسالة لسليمان القانوني حول طاعة صالح رايس.

وبالتالي فالراية الإسلامية في نظر الجزائريين في هذه المرحلة تمثلها القوة العثمانية ومن ثم وجب الانضواء تحتها لحماية البلاد والعباد وهي التقاليد السياسية التي سار عليها العرف الإسلامي قبلها حيث كانت الكيانات العرقية والثقافية والجغرافية ضعيفة أمام الرابطة الإسلامية وخاصة في مثل هذه الظروف.

وإن كان أصحاب هذا التوجه يجعلون من الحكم العثماني فرصة لتوحيد البلاد سياسيا وحققت استقرارها حتى وإن احتكروا السلطة وأن الإجحاف والظلم هو تصرف سلطة الذي قد يمارسه حاكم وطني.

وهناك أصحاب الرؤية المعاكسة الذي يجعل منه حكما استبداديا استعماريا وفي غالبهم متأثر بالكتابات الأوربية وبالمنهج الأوربي وبإسقاط الواقع الحالي على معطيات الماضي وأحيانا تخفي هذه الكتابات ميولا سياسية واستعمارية لتبرر للاحتلال الفرنسي فيما بعد ونافيا أي كيان للجزائر في ظل الحكم العثماني، وقد أخذ بعض المشارقة بهذا المنهج.

وقد ذهب الأستاذ سعيدوني ناصر في معالجة هذه القضية أن الكيان الجزائري لم يأخذ شكل الأمة الكاملة والسيادة الكاملة الصلاحية، بل كان كيانا محليا وفق بيئته وعصره (سعيدوني، 2000، ص 189). فالظاهرة العثمانية كانت عامة في العالم العربي والجزائر لم تكن أمة بالمعنى الحديث ولكن دولة لها خصوصيتها وحكومة لها سياستها ظهرت بعامل التحدي في غرب المتوسط وفرضتها الظروف الداخلية والخارجية، وساهمت في حماية أقطار المغرب العربي.

فهو يراها تمثل نموذجا للدولة المستقلة في ظل الشرعية العثمانية، والوحدة من خلال التنوع، والخصوصية في إطار التكامل (سعيدوني، 2000، ص 189).

إن المتتبع لمختلف الدراسات حول علاقة العثمانيين بالجزائر فإنه يشخصها على أن الرابطة بينهما هي عقيدة الإسلام المتمثلة في ولاء الخلافة، ونظر الجزائريون على أنهم تحت دولة تحميهم من الأخطار الخارجية. ورحبوا بهم منذ البداية. ولكن العثمانيين لم يحترموا هذا المبدأ " **فتركُوا**" الحكم ونظروا للجزائريين نظرة الغالب للمغلوب، والدليل على ذلك أنهم حكموا باسم الإسلام سكان البلاد ولكنهم لم يشركوهم في الأمر أو يختلطوا بهم، وأساؤوا التصرف أحيانا إليهم، فكانوا فئة متميزة احتكروا الحكم طيلة العهد العثماني. وأن همهم جمع المال والتسلط (سعيدوني، 2000، ص 176)، وحكموا الجزائر بيد من حديد وكثر في عهدهم سلب الأموال والرشوة والهدايا وحتى التعدي على الأوقاف وأموال الأيتام، ومكنوا اليهود في الاقتصاد ولا يتكلمون العربية ولا يستعملونها في الإدارة إلا قليلا، كما كانوا جفاة غلاظا في التعامل. وظل الجزائريون الفئة الأكثر دفعا للضرائب، ومعظمهم في الأرياف لممارسة الزراعة وبعيدين حتى عن المناصب الإدارية والعسكرية الدنيا (سعد الله، 1998، ص 154).

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

ومن جهة أخرى لم يعامل الجزائري كالتركي (لا يعاقب التركي أمام الملأ). ورغم مرور ثلاث قرون لاحظ بعض الباحثين تمسك غالبية الأتراك بالأسماء الدالة على أنهم أتراك أو يحملون أسماء لها صلة بالوظيفة الإنكشارية. فطابع الهوية التركية بقي متميزا رغم مرور أجيال ولدت بالجزائر (قشي، 2009، ص 51).

ووظفت بعض القبائل المخزنية أو قبائل الأجواد لآداء دور الوسيط في استتباب الحكم (أولاد بن قانة، بن لحرش، أولاد بن عاشور، الحنانشة، أولاد عز الدين، الدواودة ...، ومنحت بعض الألقاب والرتب كشيخ القبيلة والباشاغا للإشراف على الضرائب والأمن.

ويرى سعد الله أن المظهر العسكري الجهادي للعثمانيين في الجزائر والتهديد الخارجي جعل حالة الخوف الدائم من الخارج والاستبداد في الداخل ووصل إلى أن نظام الحكم العثماني أشبه بالنظام الجمهوري العسكري المغلق (جمهوري - لأن الحكم منتخب - وعسكري - من رياس البحر أو الإنكشارية - ومغلق - لأنه نظام لا يسمح فيه إلا للوجاق بممارسة السلطة). وامتد الانغلاق إلى أن حكام البلاد لم يكونوا قد ولدوا بالجزائر أو تربوا فيها أو تعلموا لغة أهلها والأغرب من ذلك أن أبناء الباشاوات يمكن أن يرتقوا لمناصب آبائهم إذا كانوا من أمهات تركيات أو حتى أسيرات مسيحيات بينما لا يسمح لمن كانت أمه جزائرية مسلمة.

وبين الإنصاف للعثمانيين ونقدهم كثيرا ما عدد سعد الله مناقب العثمانيين في رسم ملامح الدولة الجزائرية الحديثة بل زين صورتها بإبراز الكنوز الثقافية للجزائريين خلال العهد العثماني ليرد على رواد المدرسة الاستعمارية أنه لا ماضي سياسي وثقافي للجزائر. ولكنه في نفس الوقت كان صريحا في نقد العثمانيين بالجزائر ويجدر بنا هنا ذكر أمرين فقط على سبيل المثال: الجانب السياسي المتمثل في الحكم، والثاني الجانب الثقافي والعلمي.

فحول طبيعة الحكم العثماني ونمط حكامه وعلاقتهم بالسكان كان ناقدا لهم ومشخصا لحالهم وهو ليس من باب عد المثالب ولكنه من باب الحقيقة التاريخية والوقوف على المحطات التي كانت ضمن الأخطاء الكثيرة التي ساهمت في تراجع الدور الحضاري للدولة العثمانية، ورصد لنا الدكتور سعد الله بعضا منها لتكون في دائرة التجربة التاريخية والاستفادة منها.

ومن قبيل التمثيل والاختصار نسجل ما كتبه الدكتور سعد الله في هذا الباب: "**كان حكام الجزائر الأتراك في معظم الأحيان جهلة لا يعرفون القراءة والكتابة ... إنهم كانوا يحكمون الجزائريين بيد من حديد ويسلبونهم أموالهم وثرواتهم عن طريق الضرائب والرشوة والهدايا... وقد مكنوا طائفة اليهود في الاقتصاد وكانوا يفضلون الأسيرة المسيحية على المرأة الجزائرية...** " (حنيفي، 2014، ص 264). وأنهم احتكروا الحكم طيلة العهد العثماني ولم يشركوا السكان المحليين في أمر بلدهم (سعد الله، 1998، ص 141). وفي مواقع كثيرة أسدى للعثمانيين دورهم في درأ الخطر الخارجي وحماية المسلمين عامة والأندلسيين خاصة وتحرير سواحل الجزائر ولكنه لام الأتراك على تقصيرهم وتركيزهم على حماية الحكم وسوء تصرفاتهم (سعد الله، 1998، ص 20).

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

أما حكم المقاطعات فإن الدكتورة فاطمة الزهراء قشي قالت بأن الرؤية اتضحت نسبيا حول هذا الموضوع في الدراسات الأخيرة بأن الكراغلة حكموا في المقاطعات وربما أن أسرة مصطفى بوشلاغم المسراتي بباليك الغرب الجزائري قد تبوأت هذا المنصب، بينما هناك شك في عروبة عائلة فرحات بقسنطينة (قشي، 2005، ص 49).

ومنهم من عاتب العثمانيين على تأخرهم في مساعدة الجزائريين في محنتهم حين سقطت في يد الفرنسيين ومن هؤلاء حمدان بن عثمان خوجة من خلال مراسلاته التي وجهها للسلطان العثماني حينها (التميمي، 1985، ص 114).

وأرجع بعض الباحثين ظاهرة الخضوع للسلطة العثمانية عامة أحيانا رغم التجاوزات لارتباطها بعناوين سياسية وشرعية كبيرة كالدفاع عن الثغور والتصدي للتهديدات التي ذكرناها سابقا وبالتالي تضفي على أصحابها لونا من الشرعية العامة التي تصل حد مسحة القداسة أحيانا باعتبارهم يقومون بأدوار تساهم مباشرة في حفظ مرتكزات الأمة واستمرارها، وهو ما أوجد تقاليد سياسية تنتظمها رابطة الأخوة المجاهدة وهو شرط أساسي في تجمع مختلف القوى السياسية والفكرية والاجتماعية حول أي مشروع (الضيقة، 1997، ص 58).

3. قضية توارث الحكم بالجزائر

ومن الباحثين من توصل إلى أنه فعلا لم يصل إلى المراتب العليا بالجزائر إلا الأتراك ولكن إلا للقادرين منهم ممن تخرج من صفوف الإنكشارية وكان جديرا بها. أما حول توارث الحكم فلم يكن الصيغة السائدة باستثناء بعض الحالات، وأوعزت الأستاذة فاطمة الزهراء قشي الأمر إلى أن الحكم لم يكن سلاليا ولكن انحصر بين مجموعة من الأوليجارشية وضمنها حدث أن خلف الابن أباه في أعلى المناصب باستثناء منصب الداي ولكنها لم تصبح قاعدة عامة ومتبعة (قشي، 2005، ص 46).

وهذه الظاهرة وإن نجحت التجربة الملكية في تونس أثناء العائلة الحسينية وبروز الظاهرة في ليبيا مع الأسرة القرمانلية لم يكتب لها النجاح في الجزائر.

والملاحظ أن فترة البايلربايات التي استمرت إلى غاية 1587 لم يكن التوارث إلا لحسن بن خير الدين وفي فترات متقطعة وخلالها كان التعيين من الباب العالي دون تحديد المدة، ولكن بعدها أصبح التعيين لمدة ثلاث سنوات وهو تخوف من السلطة المركزية من حدوث عملية استقلال، وهذا ما حال دون الانفراد بالسلطة أو الاستقلال بها بالجزائر أو توريثها ويبدو أنها نفس التجربة طبقت في الأقاليم (قشي، 2005، ص 49).

4. العلاقة مع يهود الجزائر

ومن جهة أخرى لا يمكن إغفال بعض مظاهر الحظوة التي حصل عليها اليهود ومنهم من ذكر أنهم ساهموا في بعض الأزمات التي مرت بها الجزائر، كإثارة الفتن، والاحتكار الممارس وخاصة المواد الغذائية مما سبب الكثير من الكراهية لهم وذكر أحد الباحثين أن جميع فئات الشعب من انكشاريين ومدنيين وفقراء وأغنياء كانوا ضد اليهود (التل، 1989، ص 74). وظن هؤلاء أن الظلم الذي لحق بهم في عهد الداي مصطفى بسببهم، فيتدخلوا في عزل من لا يروقهم، وانتشار المجاعة بسبب احتكار الحبوب وبيعها للخارج، وربما هذا الكره المتنامي

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

هو الذي ساهم في قتل بوشناق سنة 1805 وقتل أكثر من 50 يهوديا والتجأ الباقي للقنصلية الفرنسية رغم الخلافات التي كانت قائمة بين اليهود والقنصل الفرنسي في هذه المرحلة (سامح البتر، 1989، ص 583).

خاتمة

إن تقييم الدولة العثمانية بين دورها المركزي والممارسات التي وظفتها في الأطراف التي تدور في فلكها يجب أن لا تكون خارج السياق التاريخي الذي عاشت فيه من جهة، ومن جهة أخرى فإن النظرة الأولية السلبية أو الإيجابية نحوها تعتبر عائقا في إنجاز دراسة موضوعية أو قريبة من الموضوعية التاريخية.

كما أن الفترة العثمانية التي تجاوزت الثلاث قرون واكبتها تحولات كبيرة في العالم القديم منها ما تأقلمت معها وفرضت وجودها ومنها ما تجاوزتها فزادت من عيوبها وانعكس ذلك على العالم العربي. وعليه أن لا نحاكم الدولة العثمانية على قرون خلت بمقاييس حالية.

وإذا ذهب البعض أمثال عبد الرحمان الجبرتي إلى سرد الكثير من المناقب للدولة العثمانية وخاصة في عهد السلطان سليم الأول وسليمان القانوني وركز على وقف المظالم والتصدي للغزاة وتحصين الثغور وإقامة الشعائر وتعظيم العلماء وإقامة المنشآت العسكرية من مدفعية وهندسة عسكرية. ولم يتطرق إلى المثالب، وقد نلتمس له حول ما ذكرناه لأنه تكلم عن فترة حكم معينة، وكانت المعايير التي يقاس بها الصلاح والإعمار هي التي تطرق إليها (جمال عبد الهادي ووفاء محمد، 1995، ص 128).

وبالمقابل رأى إحسان حقي أن الذين يرمون العثمانيين بأنهم جعلوا من البلدان العربية خرابا مخالف للواقع بدليل أن بلادهم لم تكن أقل من أوربا عمرانا وبنوا الجسور والمساجد الفخمة والقصور والمطاعم المجانية والمشافي والحمامات وتفننوا في الخط والزخرفة. وكانوا أمة حرب وقوة واخترعوا المدفع وغزوا البحر ومدت الخطوط الحديدية وأسلاك البرق. وأنه يجب أن نقوم الدولة العثمانية وفق زمانها وعصرها (جمال عبد الهادي ووفاء محمد، 1995، ص 130).

ونعتقد أن النظرة كانت جد متباينة بين المشرق والمغرب العربيين تجاه الدولة العثمانية، وهي تنطلق في بنائها على العلاقة الأولى مع الدولة العثمانية والظروف التي مرت بها كل جهة. ولكن تطور الدراسات من طرف أجيال ازدادت بعدا زمانيا جعلها تقلل من هذه الهوة الحاصلة.

ولكن الأمر ظل إلى حد كبير يعتمد على تقييم الحضور العثماني المتمثل: طبيعة السلطة ـ حضور الإدارة ـ فاعلية العناصر المحلية وموقعها من السلطة العثمانية ـ الدور والتقصير أمام الضفة الأخرى من المتوسط ـ الحضور العلمي ـ التفاعل والاندماج مع الشعوب العربية هي المعايير التي تحاكم عليها الدولة العثمانية في الأداء والتقصير ومواطن النجاح والفشل.

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

قائمة المصادر والمراجع

- البتر عزيز سامح، 1989، **الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية**، ترجمة محمود علي عامر، ط1، دار النهضة العربية، مصر.
- التل ـ عبد الله، 1989، **الأفعى اليهودية في معاقل الإسلام**، ط 2، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر.
- التميمي عبد الجليل، 1985، **بحوث ووثائق في التاريخ المغربي**، منشورات مركز الدراسات البحوث عن الولايات العربية في العهد العثماني، زغوان، تونس.
- جمال عبد الهادي محمد مسعود، وفاء محمد رفعة جمعة، 1995، 1416 هـ، **أخطاء يجب أن تصحح في التاريخ الدولة العثمانية**، ج 2، ط1، دار الوفاء للطباعة والنشر.
- سعيدوني ناصر الدين، 2000، **الجزائر منطلقات وآفاق**، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت. ناصر ـ سعد الله أبو القاسم، 1998، الحركة الوطنية الجزائرية دار الغرب الإسلامي، بيروت.
- سعد الله أبو القاسم، 1998، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت.
- الضيقة حسن، 1417، 1997، **الدولة العثمانية الثقافة والمجتمع والسلطة**، ط 1، دار المنتخب العربي بيروت.
- قشي فاطمة الزهراء، 2009، **قسنطينة. مدينة وموروثات**، ميديا بلوس، قسنطينة.
- نايت بلقاسم مولود قاسم، **شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية**، ج 1، الجزائر، دار الأمة.
- هلايلي حنيفي، ربيع ـ أفريل 1435 هـ /2014، **أبو القاسم سعد الله بين ازدواجية التأليف والترجمة**، مجلة عصور، عدد 13، جامعة وهران، الجزائر، ص 264.

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)